Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

إنه ليعلنه، فعقله على كثرته لم يكن يعرف به إلا أنه إذا نام كان ظهره من ورائه، ومع ذلك فعقله أكبر من عقل زوجه. وقد ذهب بعد ذلك يعرض علينا زوجه هذه في صورة مشوهة لا تنسجم مع مطلع شعره، وهذا هو معنى ما نقوله من أنه يعمد إلى ضروب من المفارقة والتباين في هزله، فبينما هو في مستهل هذه القطعة يملأ الجو بشراً وابتساما لهذا الزواج السعيد، إذ هو يملؤه بعد ذلك كآبة وغيما واكفهراراً، لما صدم شعورنا به من وصفه لهذه الزوج القبيحة التي جمعت فنون القبح كلها. وهو يعمد إلى المبالغة في هذه الفنون حتى يستتم ما يريد من إضحاك وتفكه. وأمعن النظر في القطعة فإنك تجده يقف أثناء وصفه لقبح هذه الزوج المسكينة ليظهر إعجابه بقامتها على ما فيها من عوج وأمت، بل على ما في صاحبتها من بعج وعرج وفلج وحدب ! وهذا هو التباين أو هو المفارقة التي تنبع منها فكاهة ابن سودون، وإنها لمفارقة تميزه من نظرائه الفكهين في الشعر العربي، بل في الشعر المصري نفسه؛ فنحن لا نعرف أحداً سبقه إلى هذا التفنن الواسع في استخدام المفارقة على هذا النحو في شعره، فإذا هو يتحول كله إلى هذه الطرائف الفكاهية. وقد كان ابن سودون يدمج في هذه المفارقة ضروبا من التباله وإظهار الغفلة كما مرَّ في الأمثلة السابقة وعلى نحو ما نجد في قوله:

البحرُ بَحْرٌ والنَّخيلُ نَخيلُ ... والفيلُ فيلٌ والزرافُ طويلُ
والأرضُ أرضٌ والسماءُ خِلافها ... والطيرُ فيما بينَهُنَّ يجولُ
وإذا تعاصَفَت الرياحُ بروْضَةٍ ... فالأرضُ تَنْبُتُ والغصونُ تميلُ
والماءُ يمْشي فَوْقَ رَمْلٍ قاعِدٍ ... ويُرى له مهما مَشى سَيْلُولُ

وهو لا يأتي بشيء غريب ومع ذلك فإن شيئاً من الضحك يلم بنا؛ لأن ابن سودون جمع لنا في هذه القطعة أقرب الأشياء من حسِّنا وذهب يرويه في هذا الضرب من البله والسذاجة، وهي سذاجة هيأته لأن يصف كل ما يتصل به حتى لغة الأطفال نجدها في شعره كقوله: